



خطبة صلاة الجمعة 19 / 12 / 2025 للشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(قيم إنسانية)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيّدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيّ اجتباه، وهدى رحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدّين كلّه ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيائي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار: «مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

عنوان خطبة اليوم: قيم إنسانية

– الاحترام –

أيها الإخوة:

القيم هي المبادئ والمثل العليا التي يؤمن بها الناس، ويجعلونها ميزانًا يزنون به أقوالهم وأعمالهم. وإنما سميت القيم قيمًا لأن بها قوام الإنسان والحياة الكريمة. وإنما سميت القيم قيمًا لأن الأقوال والأفعال والأشياء بها تُقوّم وتوزن. وإنما سميت القيم قيمًا لأنها مستقيمة لا تنحرف، ومنه قوله تعالى: ﴿دِينًا قِيمًا﴾ أي مستقيمًا. وإنما سميت القيم قيمًا لأنها الحارسة للفترة والراعية للإنسانية الإنسان ومنه قولنا قِيم المسجد: أي راعيه وحارسه.

فالقيم بها تقوم الحياة الكريمة، وبها تُقَوَّمُ الأقوال والأفعال وتوزن، وهي الحارسة للفطرة الراعية لإنسانية الإنسان، وهي المستقيمة التي لا تنحرف.

ونحن بعد أن أكرمنا الله تعالى بالفتح أحوح ما نكون لتعزيز القيم النبيلة والأخلاق الحميدة، وهذه مجموعة من الخطب تعرض كل منها لقيمة إنسانية، لا تظهر إنسانية الإنسان إلا بها، ولا تستقيم علاقتنا الاجتماعية إلا بها، ولا تقوم لنا قائمة إلا بها.

وحديث اليوم عن الاحترام -قيمة من القيم العليا التي بها قوام الدنيا والدين-.

أيها الإخوة:

كرم الله تعالى الإنسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، فتراه يجب التقدير والاحترام ويأنس بهما، ويأبى الإهانة والتوبيخ ويأنف منهما.

فإنسانية الإنسان لا تكتمل إلا بالاحترام يأخذه ويعطيه، والعقود الاجتماعية لا تنتظم إلا بالاحترام للفرد وللجماعة، والدول الراقية لا ترقى إلا باحترام السلطة للشعب واحترام الشعب للسلطة واحترام أفراد الشعب لبعضهم.

والإسلام دين الاحترام ورعاية القيم والمبادئ السامية، يدعو أبناءه لتقديم الاحترام لبعضهم ولسائر الناس.

في سيرة ابن هشام عند الحديث عن فتح مكة: لما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد، أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه؟ قال أبو بكر، يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: أسلم، فأسلم.

إنه احترام الكبير لسنه، مسلماً أو غير مسلم.

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ بقدر فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: «يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟» قال: ما كنت لأؤثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله. فأعطاه إياه.

إنه احترام صاحب الحق ولو كان صغيراً.

أخرج البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي ليلي رحمه الله قال: كان سهلاً بن حنيف، وقيس بن سعد قاعدَيْن بالقادسيّة، فمُرَّ عليهما بجنّازة، فقاما، فقيل لهما: إنّها من أهل الأرض -أي من أهل الذمّة- فقالا: إنّ رسول الله ﷺ مرّت به جنّازة فقام، فقيل له: إنّها جنّازة يهودي، فقال: **«أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟»**.

إنه الاحترام من الإسلام للإنسان، كلّ الإنسان.

أولى الناس بالاحترام والتوقير مَنْ كان حظه من الشرع أوفر، ونصيبه من العمل الصالح أكبر، فقد أخرج الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ»**، وذلكم هو ميزان التقديم والتكريم.

وإن شأن أمة محمد ﷺ التوقير والإجلال للعلم وأهله، ومن احترامك للعالم أن تستشعر مهابته، روى البخاري أن حذيفة حدّث حديثاً عن الفتن، فأراد التابعون أن يسألوه، قالوا: (فهنا حذيفة أن نسأله). وفي حديث سجود السهو أن رسول الله ﷺ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ بَدَلَ أَرْبَعٍ، فظن بعض الصحابة أن الصلاة قصرت، يقول أبو هريرة: (وفي القوم أبو بكر وعمر، فهاباه أن يكلماه)،

وفي مسند أحمد عن رسول الله ﷺ: **«لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا»**. وكما وجب الاحترام للعالم، فإن للمتعلّم حقّه من التوقير والإكرام، يروي أحمد في حديث وفد عبد القيس أن رسول الله ﷺ أنزلهم ضيوفاً على الأنصار: فلما أن أصبحوا، قال: **«كَيْفَ رَأَيْتُمْ كَرَامَةَ إِخْوَانِكُمْ لَكُمْ وَضِيآفَتَهُمْ إِيَّاكُمْ؟»** قالوا: خير إخوان: ألانوا فُرُشَنَا، وأطابوا مَطْعَمَنَا، وباتوا وأصبحوا يُعَلِّمُونَا كتاب ربنا تبارك وتعالى، وسنة نبينا ﷺ.

وإن من أحوج ما ينبغي التذكير به احترام ذوي سابقة الخير، فقد كان من وصية عمر رضي الله عنه قبل وفاته: (أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خيراً؛ أن يعرف لهم حقّهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً - الذين تَبَوَّأُوا الدارَ والإيمانَ - أن يقبلَ من محسنهم، ويعفو عن مسيئتهم)، فتجاوز عن زلّة مَنْ سبقوك في ميدان الدعوة والجهاد، واحفظ لهم قدرهم ولا تنسَ لهم فضلهم.

وحين يتربّى أبناء الأمة على إكرام ذوي السبق في الخيرات، عندئذٍ يعم الوفاء بين الأجيال.

والكبير في قومه لا يليق أن يقابل بغير الإكرام، جاء في الحديث الحسن: **«إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»** [ابن ماجه].

ومن كرم المؤمن احترامه لمن سبق أن أحسن إليه، فإن رسول الله ﷺ لم ينسَ لبعض المشركين ما كان لهم من دور في الذبِّ عنه وعن دعوته، فقال في أسرى بدر: «لَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» [البخاري].

وفي حديث صحيح عند أبي داود: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ» وأدنى ما تُكافئ به المحسن إليك أن توقره وتحترمه.

وكل مؤمن حرٌّ بالاحترام فلا يُقَام من مجلسه ليجلس غيره، وتجب ضيافته، وتشعر مشاورته، ويُشكر على المعروف، وتُؤدَّى إليه حقوقه غير مُتَعَتع، ونقابله بطلاقة الوجه، وندخل السرور إلى قلبه. [ينظر هذه أخلاقنا لمحمود الخزندار].

أيها الإخوة:

عندما يقف صغيرنا لكبيرنا ليجلسه، فهو الاحترام
عندما لا يرفع امرؤ في الأماكن العامة صوته في الحديث والضحك فهو الاحترام.
عندما يعد رجل أخاه موعداً فيأتيه في الموعد المحدد فهو الاحترام.
وعندما يعد موظف مراجعاً أن يراجعه في اليوم التالي لاستلام معاملته فيأتي المراجع ويستلم معاملته منتهية فهو الاحترام.

عندما يركن رجل سيارته في مكان مناسب لا يؤذي بها الناس فهو الاحترام.

عندما تحفظ زوجة زوجها في حضرته وغيابه ويفعل هو ذلك فهو الاحترام.

عندما يُحَضِّر المدرس لمحاضرتَه والخطيب لخطبته بشكل جيد فهو الاحترام.

وعندما نشكر الناس على حسن صنيعهم معنا فهو الاحترام.

عندما نستأذن قبل الدخول فهو الاحترام.

عندما نحفظ ألسنتنا وأسماعنا عن الغيبة والنميمة وعن السباب والغمز واللمز فهو الاحترام.

أيها الإخوة:

نحتاج للتعامل بالاحترام والتوقير لمصلحة وحدة الصف، وتأليف القلوب، وإزالة الدَّخْن، وإغاظة العدو، وبقدر ما يحترم بعضنا بعضاً نكون في نظر الناس محترمين. وإن من أهان الناس فحري به أن يهان ومن احترمهم فحري به أن يحترموه.

أخرج البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْدُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا، التَّقْوَى هَاهُنَا - ويشير إلى صدره - بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ. إِنْ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

والحمد لله رب العالمين